مناقشات

حول ازمة المثقف العربي

بقلم : اسماعيل الملحم

منذ قرات المقالة المعنونة بـ : « ازمة المثقف الثوري في الوطن العربي » فلت ان هذه المقالة لن تجد قبولا لدى معظم الذين يعتقدون انهم يحملون صفة الثورية . لقد دعا الكاتب المثقف الثوري في الوطن العربي لان يناضل ضد سائر نظم الحكم الرجعية والديكتاتورية في وطنه .

ما هذه الدعوة ؟ اليست مثل هذه النظم عدوة طبيعية للمثقف الثوري الذي يفترض فيه ان يحمل لواء الوعي والفكر ؟ اليست مثل هذه النظم مسرحا طبيعيا للدجل والملق والرياء الفكري .

ومن هو المتضرر من هذه الدعوة ، او من الدعوة لان يعمل الثوريون العرب والمثقفون منهم على وجه الخصوص على تكوين منظمة طلائعية تضمهم وتحمي اتجاهاتهم ومكاسبهم ؟ لن يتضرر الا المتعيشون على انظمة الحكم الديكتاتورية والرجعية اولئك الذين يتقنون ضروب الملق والدجل والتزلف .

ان الفكر في وطننا العربي يواجه تشويها وتحريفا رهيبين وان هذه المواجهة لا تخفى على اي انسان يريد ان يستمع الى صوت ضميره ويريد ان يعرف الهدف الذي يجب ان نتجه اليه . وارجو ان يكون المتصدي لمناقشة الدكتور سعد الله من اولئك الطيبي النية الذين يخدعون بالكلام العاطفي لا اكثر من ذلك .

اني متفق مع السيد عبد السلام سعيد على انه لا فرق بين نظام الحكم الملكي الرجعي في السعودية والحكم الجمهوري ذي الحزب الواحد في تونس كما ان الدكتور سعد الله لم يصف حكم بورقيبة بالثورية ولم يتعرض له . الا اني لا اقره على ان الثورية هي خنق الفكر والتآمر عليه بحجة انه لا يتلاءم مع ثورية معينة يعتبرها اصحابها اول واخر نظام ثوري . خاصة ونحن نلحظ بان الثوريين العرب لم يستطيعوا حتى الان ان يتخلصوا من كثير من الصعاب التي توضح العقيدة الثورية بصورة سليمة . ان الحوار يبقى السلاح الوحيد للافكار الثورية كي تتوضح وتستطيع ان تأخذ سماتها الحقيقية وان فرض ديكتاتورية على الفكر بحجة الثورية لن يكون بالتالي الا طعنا لتلك الثورية ومساهمة من « الثوريين » انفسهم في تشويه الثورية وانحرافها . ان الفكر في مجتمعات الديكتاتورية ذات النظم البوليسية لن ينجو من التزييف ولن يسير الا في طريق لزجة من الرياء والملق والدجل والتكسب والارتزاق حتى ولو ادعت تلك النظم « الثورية » .

واني مع السيد سعيد في قوله ان ظاهرة الاخوان المسلمين في مصر وما شابهها من موجات التمرد التي تقرأ على صفحات بعض الجرائد البيروتية ليست بظواهر ثورية . ولكن مثل هذه الظواهر التي تقيء الصديد وتنشر السم الا تجد لها مرتعا خصبا عندما يتوارى الثوريون عن المسرح وينكفئون على انفسهم فلا انظمة حكمهم تساعدهم او تفتح لهم مجال المساهمة في عملية التوعية والنمو الفكري ولا هي بقادرة ان تواجه او تقطع هبات السفارات الاجنبية ومكاتب الاستخبارات عن اعداء الثورية ؟ .

خاصة وان الثوري الحق يرفض ان يكون مأجورا حتى ولو لنظام ثوري . اذ ان من يتلقى اجر مقاله من سفارات الاجانب ودوائر استخباراتهم الاستعمارية هو من نفس الزمرة التي ينتمي اليها من يتلقى اجره من سفارة « ثورية » او دائرة اعلام او استخبارات « اشتراكية » .

وان التفاؤل المفرق في التفاؤل ونفي الازمة عن المثقف الثوري في الوطن العربي هو نوع من الرؤية المرضية . ففي اي بقعة من الوطن العربي – عدا لبنان بعض الشيء – يستطيع المواطن العربي او المثقف على وجه الخصوص ان يكون صريحا ؟

وان المثقفين الذين يصفهم السيد المناقش على انهم يعانون الضياع والاحساس بالغربة بسبب – حسب رأيه – استنادهم الى الهاث وخليط مثالي مهووس في ثقافتهم – بعض هؤلاء المثقفين ليعذرني السيد سعيد ان قلت بعض هؤلاء هم الثوريون حقا . لا اولئك المدللين الذين يتصيدون الشهرة ويروون الغلة من اجهزة الاعلام والتطبيل الدعائية .

اما ذلك المثقف الذي نذر نفسه لكي يصنع زخارف يؤطر بها نظاما ما فلن يستطيع ان يكون ثوريا لانه ليس سوى وثنيا يعبد الاصنام لتقربه من المبادىء والثورية زلفى .

وان تلك الدول التي يعنيها السيد عبد السلام سعيد والتي نقف بحزم امام محاولات الرجعية والاستعمار فليعذرني ان قلت : انها ان كانت صادقة فيما تقول ولكي يكون وقوفها صادقا فلتقطع المثقف حريته ولتفتح مجال العمل والتوعية امام كل ذي فكر والا فهي تدعم اوضاع الرجعيين والاستعماريين سواء عن حسن نية او عن تآمر عندما لا تدع مجالا لابداء الرأي الا لحفنة من المداحين والمرتزقة والمتعيشين من الابواق التي تشمئز منها الناس وبالتالي فان الجماهير سوف تصاب بالقيء عندما يناديها اولئك « الثوريون » الذين فقدوا في نظر الجماهير كل اعتبار وكل قيمة .

السويداء – سوريا

اسماعيل الملحم

حول قصيدة « الى طيار اميركي »

بقلم : رشيد ياسين

اذا كانت آفة الاخبار رواتها – كما قال شاعرنا القديم – فما آفة شعرنا المعاصر الا نقاده . ولا احسبني متجنيا على النقاد اذا حملتهم القسط الاوفر من مسؤولية هذه المتاهة التي يتخبط فيها شعرنا الحديث . فما اكثر ما ينساق نقاد الشعر مع الاهواء ، وما اكثر ما يطلقون من احكام ينقصها التروي والاعتدال ، وما اعجب ما يبتدعه بعضهم من معايير للشعر فيها من الاجتهاد والتفلسف فوق ما فيها من صحة الفهم وعمق البحث والاحاطة بمناهج النقد ! واسوأ من هذا كله ما تشف عنه لهجة بعضهم من اعتداد ووثوق لا ينهضان على اساس ، فكان احكامهم ليست مجرد انطباعات شخصية يحتمل فيها الصواب والخطأ ، بل حقائق نهائية لا ترقى اليها الشبهات ! ولئن جاز اعطاء الرأي الجازم في بعض ميادين العلم الموضوعي فما اراه يجوز في نقد الشعر ، ولا سيما اذا اعتمد الناقد مقاييس لم يكلف نفسه عناء اثبات وجاهتها . ولعل خير نصيحة تزجى الى هذه الطائفة من النقاد ما اجاب به « ليسنغ » احد نقاد زمانه :

« لكل امرىء الحق في ان يكون له ذوقه الخاص . ومن الامور الحميدة ان تحاول تقييم الاشياء وفق ذوقك . ولكن ان تعطي الاسباب التي تبرر بها ذوقك صفة الشمول ، وتجعل منه الذوق السليم الوحيد ، فهذا معناه خروجك من اطار الهاوي الباحث وظهورك بمظهر من يشرع القوانين على هواه ...

ان الناقد الحقيقي لا يستمد القواعد من ذوقه الخاص ، بل يربي ذوقه وفق القواعد التي تفرضها طبيعة الاشياء . »

اقول هذا بمناسبة ما كتبه الاستاذ « امين رضوان » في العدد الاسبق من مجلة « الاداب » حول قصيدتي «الى طيار اميركي» المنشورة في عدد نيسان من المجلة نفسها . وليست غايتي الاولى الدفاع عن القصيدة المذكورة ، لان رأيا سلبيا واحدا لا يكفي لهدم قصيدة ، وانما تعنيني منافشة اسلوب متسرع في النقد راج عندنا في السنوات الاخيرة .

استهل الكاتب نقده « لقصائد العدد الماضي من الاداب » على النحو التالي :

« نحن نقول الشعر ونصغي اليه، لاننا من خلاله نستكشف وجودنا وعلاقتنا بالكون العام ، كما نتعرف على طبيعة الارض التي نقف عليها ، والابعاد التي تشدنا نحوها ... الخ. » « وعلى ضوء هذا نحاول ان نلقي الضوء على قصائد العدد الماضي » .

وقبل ان نرى كيف حاول الكاتب « على هذا الضوء ان يلقي الضوء » على قصيدتي المذكورة ـ ليست هذه محاولة للتنكيت ، بل انا استعير لغة الكاتب نفسه ـ يحق لنا ان نتساءل عن مصدر هذا المفهوم الجمالي الذي جاءنا به : اهو خلاصة استقصاء ودراسة لطبيعة الشعر، ام هو ضرب من الالهام الذي ينتزل بغتة على بعض الكتاب ؟ .. لسنا ندعي الاحاطة بجملة ما كتبه الدارسون والنقاد حول طبيعة الشعر ومهامه ، ولكنا لا نعتقد ان احدا منهم استعان بمثل هذه اللغة المتحذلقة الفضفاضة في معالجة هذه القضية الخطيرة . ذلك ان دقة العبارة ووضوح المصطلح هما اول ما يستلزمه البحث الجاد . ويخطىء ناقد الشعر حين يستعير مذهب الشاعر في التعبير ، فليس النقد شعرا ، بل هو اقرب الى روح العلم .

ان قضية تحديد ماهية الشعر ـ والفن اجمالا ـ قضية بالغة العمق والسعة . ورغم ما كتبه الباحثون والفلاسفة منذ المعلم الاول « ارسطو » حتى صاحب « الارض الخراب » ، فان الشعر لم يظفر بعد بتعريف نهائي يبت الخلاف بين النقاد . ولا اريد ان أقول مع «نوفاليس» ان الشعر شعر وهو لا يخضع لوصف او تعريف ، ولكني لا اعتقد أن المسألة يمكن حسمها بحفنة من التعابير المجازية التي ينقصها المدلول الدقيق ، كقول الناقد «نتعرف على طبيعة الارض التي نقف عليها والابعاد التي تشدنا نحوها .. الخ.» . ولقد حاولت ، مخلصا ، أن اطبق مقياس الاستاذ الناقد على قصيدة « ساعة الاطفال » ، وهي من اجمل قصائد الشاعر الاميركي الجليل « هنري لونفيلو » ، ثم طبقته على بعض سونانات شكسبير فلم « استكشف » شيئا مما ذكره الناقد ، ولا ادري هل اسأت تطبيق المقياس ، ام ان لونفيلو وشكسبير كانت تنقصهما الشاعرية !

ولننظر الان كيف طبق الناقد مقياسه على قصيدتي المذكورة : « فقصيدة رشيد ياسين « الى طيار اميركي » لم نتعرف من خلالها على شيء من هذا .. » . ولا خلاف لي هنا مع الناقد ، فالواقع اني لم اوخ ، حين كتبت القصيدة ، شيئا مما ينشده هو في الشعر ، بل حاولت ، ببساطة وتلقائية ، ان ادين بربرية العدوان الاميركي على فيتنام . ولا ازعم اني وفيت الموضوع حقه ، فالقصيدة لم تتجاوز تصوير لحظة الانفعال الانساني المشروع التي يعيشها المرء عند سماعه نبأ الغارات الاميركية النكراء على الاماكن المأهولة وعلى حصيلة البناء الاشتراكي في فيتنام . ولو ان الناقد وضع مقاييسه المتعسفة جانبا وحاول تفهم القصيدة في ضوء بوّاعثها وغاياتها لما تسرع في الحكم، ولكن المقدمة المغلوطة تفضي بالضرورة الى نتيجة مغلوطة .

ويمضي الناقد قائلا : « فنحن وان كنا نصنع الحياة بالعرق والدم، لكننا ونحن نصنع هذه الحياة ، لا نكتفي في استحياء بلوم من يحاول هدمها ، بل نمنع في اصرار هذا الهدم ... » . ولا يسعني ، قبل مناقشة مضمون العبارة ، ان اغض الطرف عما في صياغتها من ركاكة والتواء لا يليقان بكاتب يتصدى لنقد الشعر ، ولا ادري كيف يمكن الاقتناع بأن كاتبا نعوزه البلاغة يستطيع ان يقيم بلاغة الاخرين (1) .

ولنعد الى مضمون العبارة ، فماذا اراد الناقد بقوله « لا نكتفي في استحياء بلوم من يحاول هدمها ، بل نمنع في اصرار هذا الهدم » ؟ هل ابتغى ان يقول ان علي ، بدلا من التنديد بالعدوان الاميركي ، ان احمل بندقية واذهب متطوعا الى فيتنام ؟ ام اراد ان يقول ان قصيدتي خلت من صخب العبارات الثورية المألوفة وصب اللعنات على الاستعمار وتهديده بالويل والثبور ؟ اذا كان هذا ما عناه فردي أن هذا خارج عن موضوع قصيدتي التي استهدفت ادانة الاستعمار الاميركي خلقيا وفضح ديماغوجيته السياسية وبربريته . ثم ما هذا « الاستحياء » الذي ينسبه الي الناقد الكريم ، واين مظاهره في القصيدة ؟ وما الذي يجعلني استحيي من لوم الاستعمار ؟ هل انتهى الى علم الناقد ان بيني وبين الاستعمار ما يوجب الاستحياء ؟ وهل لديه ما يدعوه الى الاعتقاد بأن من حقه ان يعطي غيره دروسا في الثورية ومقارعة الاستعمار ؟ ان هذه قرينة مؤسفة اخرى على ان بعض كتابنا لا يقيسون حدود الكلمة ولا يضعونها حيث ينبغي ان توضع !

ولنعد مرة اخرى الى النص :

« ففي تقريرية افتقدت الحس الفني وجه رشيد ياسين لومه للاستعمار الاميركي ، اللوم فقط ، مفتقدا اي ايجابية حتى ولو من ذاتية الشاعر نفسه » .

لنتوقف قليلا عند هذه «التقريرية التي افتقدت الحس الفني». وسأعترف منذ البداية بأني لا افهم ، على وجه الدقة ، مؤدى كلمة « التقريرية » التي كثر استعمالها في السنوات الاخيرة ، ولا ادري ماذا يقابلها في مصطلحات النقد الاجنبي . وقد يكون هذا تقصيرا مني.

(1) توكيدا لما ذهبت اليه اعيد صياغة العبارة : « فنحن اذ نصنع الحياة بالعرق والدم لا نكتفي ان نلوم باستحياء من يحاول هدمها ، بل نمنعه باصرار »

صدر حديثا في اربعة مجلدات

شرح ديوان المتنبي

وضعه :

عبد الرحمن البرقوقي

وقد امتازت هذه الطبعة بالدقة والتبسط والاستيعاب ، بحيث تلاقت في هذا الشرح جميع شروح المتنبي وشرحت فيه الشواهد والنظائر وما اليها وصار بذلك مغنيا عن جميع الشروح

الناشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت

الثمن ٢٨ ليرة لبنانية

ولعلها ، ان صدق استنتاجي ، تعني سرد الامور على نحو ما يراه الانسان في الواقع ، عوضا عن تحليلها واعادة صياغتها وفق مقتضيات الفن ، او هي ــ بتعبير اخر ــ تقديم ((تقرير)) عن المسألة ، بدلا من تقديم صورة فنية . وقصيدتي ليست كذلك ، فهي لا تنقل واقعا بحذافيره وصوره المرئية ، بل تعرض ، بخطوط سريعة مركزة ، بعض قسماته البارزة التي تجسد مضمونه الفاجع . فمقابل مأثرة البناء السلمي المتمثلة في ((السواعد الصفراء التي تصارع الفولاذ والحجر وتبني الحياة بالدم)) تبرز بربرية الاستعمار في صورة الطيار المغير ينشر الخراب في ((المزارع والدور ورياض الاطفال)) ، ومقابل الدمار الذي يشيعه الاميركيون في فيتنام ينتصب تمثال الحرية الاميركي رمزا مرائيا لحرية مزعومة . وقد تكون التقريرية التي عناها الناقد وضوح مرامي القصيدة ، وهذا في عرف بعض النقاد الجدد عيب فني خطير ، لان العمق في زعمهم لا يكون بلا غموض . وهذه من اسوأ البدع في حياتنا الادبية المعاصرة ، لانها تعمق الهوة بين الشعر وقرائه ، وتلغي الحدود ــ وهذا ما يحصل بالفعل ــ بين الهذيان السقيم والشعر الحق . وعندي في هذا الصدد امثلة عديدة سأكتفي بايراد احدها :

في عام ١٩٥٠ كتب اربعة من الشعراء العراقيين ، بينهم المرحوم بدر السياب وكاتب هذه السطور ، في احد مقاهي بغداد ، قصيدة توخوا ان تكون خالية من اي معنى ، واختاروا لها هذا الاسم العجيب ((اصداء اسطورة ذابلة)) ونسبوها الى شاعرة لا وجود لها ، سموها ((سميرة احمد العاني)) ، ثم بعثوا بالقصيدة الى مجلة ادبية محترمة ، فلم تلبث ان نشرت في مكان بارز منها . ولم تقف المهزلة عند هذا الحد ، فسرعان ما تنبه احد النقاد الى مواهب الشاعرة الطالعة فصنفها ضمن المبدعين من شعراء العراق وتنبأ لها بمستقبل مرموق !!

ولولا مراعاة الايجاز وخشية الخروج عن القصد لاوردت امثلة اخرى لا تقل طرافة ، وهي بمجموعها تدل على ان احتضان بعض النقاد لنزعة الاغراب والتعقيد الاجوف المتعمد في الشعر الحديث واجتهادهم في تأويل ما لا يقبل التأويل ولا يستقيم للفهم قد جعلا القارىء العربي ــ وهو قارىء محدود الاطلاع بحكم حداثة النهضة الثقافية عندنا ــ ضحية دجل فني واسع النطاق .

وارجو الا يتوهم القارىء اني ارفض الغموض جملة ، فمن احاسيس النفس ما هو غامض بطبيعته ، ومن الافكار ما يدق على فهم القارىء العادي ، والشاعر قد يحطم العلاقات الموضوعية بين الاشياء وقد يعطي الكلمة غير مدلولها الشائع ، ولكني ارفض احتساب الغموض مزية للشاعر ، وارفض التستر على من يتخذون من الصور المتنافرة الغريبة ومن تكديس الرموز والاساطير براقع يستررون بها خواءهم الوجداني !

ولنعد الان الى ما تبقى من عبارة الناقد ، ومؤداه ان القصيدة تفتقد الحس الفني . فما هو الحس الفني ؟ ما هي عناصره ومقوماته ؟ ان الناقد لا يعطينا جوابا على ذلك ، وعليه فلا ندري ما الذي تفتقده القصيدة بالضبط . بيد ان لنا في المسألة رأيا اخر . واذا شاء ان ندله على الحس الفني ــ كما نفهمه نحن ــ فلينشده في اختيار وزن القصيدة نفسه ، وفي جملها القصيرة المنفعلة ، وفي الاستغناء عن احرف العطف (تهزأ بالجراح ، تستهين بالخطر ، تجبل هذا الصرح بالدماء .. الخ.) لتصوير دينامية البناء ، وفي تركيز الصور وعفويتها وترابطها . ثم فلينشده في خلو القصيدة من التراكيب المتهافتة والشطحات العروضية التي تلازم الكثير من شعر هذه الايام والتي يبدو انها لم تعد تصدم ((الحس الفني)) لدى بعض النقاد . ومعذرة القارىء الكريم مما قد يحسبه اخلالا بمزية التواضع ، فانا لا اعطي هنا تقييما عاما لقصيدتي ، وانما احاول التنبيه الى ملامح لا يسع الناقد المنصف تجاهلها عند الحديث عن الحس الفني .

بقيت امامنا اخيرا دعوى الناقد بأن القصيدة ((تفتقد اية ايجابية حتى ولو من ذاتية الشاعر نفسه)) . ويظهر ان مدلول ((الايجابية)) ليس واضحا تماما في ذهن الناقد ، فايجابية الشاعر او سلبيته ازاء العالم انما تنبع من ذاته لا من خارجها ، وعليه فلا محل لقوله ((حتى ولو من ذاتية الشاعر نفسه)). والواقع ان كتابة قصيدة تناوىء العدوان الاميركي على فيتنام هي بحد ذاتها امر ايجابي ، في وقت يعاني فيه شعرنا الحديث انتكاسة ايديولوجية خطيرة تتمثل في انشغاله عن القضايا الانسانية الكبيرة بالتجارب الذاتية الضيقة ، وفي طغيان نزعة التصوف ــ وهي رجعية في جوهرها ــ على نتاجات بعض شعرائنا المعروفين .

وبعد ، فما كنت اريد الاطالة ، ولكن حديث الشعر والنقد في بلادنا ذو شجون .

لقد عاب ت. س. ايليوت على نقاد الشعر في بلاده انهم يكررون كالببغاوات اراء اخر استاذ من اساتذة النقد . وعندي ان مصيبتنا أفدح من ذلك ، فنقادنا ــ واستثني القلة منهم ــ لا يأتمون باراء ناقد عظيم ، لان حركتنا الادبية لم تنجب مثل هذا الناقد بعد ، بل يقننون قواعد الشعر ، كل على هواه ومزاجه ، ويستعملون مصطلحات النقد ، احيانا ، دون التثبت من معانيها ومدلولاتها . ويبدو ان المصادر الصناعية من باب ((تقريرية ، ايجابية ، ذاتية)) والعبارات المستحدثة البراقة (الاطر النفسية والدهاليز الشعورية الخ.) قد اعفت البعض من عناء السعي الجاد لاستكمال عدة الناقد المتثبت الرصين .

صوفيا — رشيد ياسين

حول ((الحياة الحب))

بقلم : ابراهيم محمد نجا

قرأت المقال الذي نشره الشاعر والناقد المعروف الاستاذ عبده بدوي ، في العدد الخامس من ((الاداب)) الفراء عن ديواني ((الحياة الحب)) . وانا اعترف بانه في هذا المقال كان موفقا في كثير من احكامه وتفسيراته ، لما يتمتع به من نفاذ بصيرة ، ولطافة ادراك ، من جهة ، ولانه من النقاد الذين يعيشون مع النص الادبي قبل ان يأخذوا في الكتابة عنه ، من جهة اخرى .. غير ان هناك اشياء وردت في المقال ارى انها تحتاج الى مراجعة ، ليوضع في دائرة النور ما ظل يكتنفه الضباب .

يقول الناقد اني لا اعبر عن الغربة : ((لان الغربة التي عبر عنها هي الغربة المكانية التي ابعدته عن موطنه دمنهور الى الاسكندرية ثم القاهرة ثم المملكة العربية السعودية ثم الجمهورية العراقية ، اما الغربة بمعنى المحاصرة من الناس والطبيعة ، اما الاحساس بانه منفي وغير منتم الى العصر ، وان كل هذا يولد عنده قلقا وتمزقا وحزنا ، فشيء لا يوجد عنده)) .

وليس من شك في ان الغربة بمعنى المحاصرة من الناس والطبيعة تمثل لونا من الوانها ، ولكنها لا تمثل كل الوانها .. وليس من شك ايضا في اني لا اعبر عن الغربة بهذا المعنى ، لانني كما ذكر الناقد في اول مقاله ، اؤمن بالجبرية التي خلف الاشياء ، وارى أن كل شيء له ضرورة في الحياة ، وانه يجب ان ينظر اليه على انه نغمة لا بد منها في سيمفونية الكون ، ثم ان هذا الكون في رحب مداه لا يخرج عن كونه رمزا لعالم غير ظاهر .. وانا ارى هذا العالم بقلبي ، واقابل بين الاشياء المتضادة ثم اصالح بينها . فلست اذن من شعراء الرفض او السخط ، ولا يمكن ان اكون كذلك ، لان هذا خارج عن نطاق طبيعتي النفسية واتجاهي في الحياة ..

اما الغربة بمعنى البعد المكاني عمن تحب ، وما يخلفه ذلك في نفوسنا من قلق وعذاب واحزان ، فقد عبرت عنها بصدق واخلاص .. وذلك واضح في كثير من قصائدي ومنها ((وداع)) و ((الطير المسافر)).

ويقول الناقد اني لا احب ان اغامر في البحار ذات الضجيج ، ويعني بذلك اني لا التزم بموقف من المواقف التي يلتزم بها اصحاب اليمين او اليسار او الوسط ، ولا استخدم الكلمة في الدفاع عن هذا الموقف كما يستخدم المحارب المدافع او القنابل في ميدان القتال .. والحق اني قد اجد في نفسي ميلا الى موقف معين ، ولكني لا اخضع نفسي لهذا الموقف بحال من الاحوال ، لان في اي موقف من المواقف وجها للصواب ، ووجها للخطأ ايضا .. يدرك ذلك من ينظر الى الامور نظرة موضوعية مجردة من الهوى والغرض .. ونظرتي الى الناس والاشياء ، كما لاحظ الاستاذ رجاء النقاش ، هي في صميمها نظرة اقرب الى التصوف منها الى اي شيء اخر .. والمتصوف لا يواجه اعداءه وهو يحمل المدفع او الخنجر او السوط ، ولكنه يلقاهم دائما وفي يده غصن اخضر ، وفي قلبه محبة بيضاء ، وعلى لسانه كلمة طيبة . ثم يقول الشاعر الناقد : « وعلى كل فشعر ابراهيم محمد نجا لم يحدد موقفا في مواجهة الكون والانسان والحضارة » . وذلك غير صحيح ، لانني ارى الكون ، كما ذكر هو من قبل ، سيمفونية يمثل كل شيء نغمة من انغامها المتآلفة ، وارى انه في رحب مداه ، رمز لعالم غير ظاهر ، كما اني احب ان اراه بروحي وقلبي اكثر مما اراه بعقلي.. اما الانسان فاني لا اجمل له في قلبي غير الالفة والحب والتعاطف ، واما الحضارة فاني اضيق اشد الضيق باسرافها في النزعة المادية التي تقتل الروح ، وتحجر المشاعر .. وذلك كله يظهر في شعري بطريقة رمزية . وقد كنت احب للناقد الحصيف ان يقف وقفة خاصة عند بعض قصائدي الطويلة مثل « بين ريح وشجيرة » ، «الوردة والشوك»، « الجنية العذراء » ، ليتبين المضمون الانساني الذي يشيع فيها .. وقد فعل ذلك استاذنا العقاد ، طيب الله ثراه، حين وقف واطال الوقوف عند قصيدتي « بين ريح وشجيرة » حتى اغفل الحديث عن شعري العاطفي الذي عرفت به ، كما لاحظ ذلك الاستاذ عباس خضر في مجلة « الرسالة » . على أن موقفي من القضايا السياسية والاجتماعية المعاصرة ، سيكون اكثر وضوحا وايجابية في ديواني «على رمال الزمان» المعد للطبع ضمن دواوين اخرى .. وحين يظهر هذا الديوان سيعرف بعض النقاد انني شاعر ملتزم ، بالمعنى الذي يفهمونه من كلمة الالتزام

وقد ورد في المقال ان تجربة الحب التي انتهت بالاحباط، قامت على انقاضها التجربة التي انتهت بالرباط المقدس .. والحقيقة اذكر ان التجربة الثانية سبق في الزمن التجربة الاولى ، كما يظهر ذلك واضحا في قصيدتي « ما دمت انت معي » .. ثم ظهرت التجربة الاولى، وقام صراع نفسي مرير حول التجربتين، ولكن ظروفا قاهرة لا استطيع ذكرها الان ، جعلت هذه التجربة تفسح المجال للتجربة الاخرى ... وحين لم ينم اللقاء في الاسكندرية كما كان مقدرا ، حدث الاتهام الظالم الذي كانت نتيجته قطيعة دامت ست عشرة سنة .. ثم شاءت الاقدار ان تضيف فصولا جديدة الى سجل هذه التجربة بعد هذه القطيعة الطويلة . وهناك خلاف بيني وبين الاستاذ عبده بدوي حول قصيدة « رماد » ، فانا اذكر في ديواني انها قيلت عام ١٩٦٠ ، وهو يذكر انها قيلت عام ١٩٦٥ .. والحقيقة انها قيلت عام ٦٠ حين لم يكن هناك اية بارقة من الامل في عودة الصلة بين الطرفين المتقاطعين ، ثم طواها الشاعر فلم ينشرها حتى لا يحزن الطرف الاخر .. وفي عام ٦٥ كانت ذكريات الحب الكبير قد اخذت تستيقظ في الاعماق لتحتل مكانها في قلب الشاعر ووجدانه ، وحين اراد أن ينشر القصيدة احدث في نهايتها تعديلا طفيفا يتضمن نداء حارا الى الطرف الاخر للعودة الى استئناف هذه العلاقة التي اخذت تنبض من جديد .

ولعل الصديق العزيز يعترف الان بانه ليس من الحق ان يقول ان كل شيء يبعدني الان عن الحب الذي عرفته والذي اعطاني كل هذا الشعر ، بعد ان ذكرت ان التجربة الكبيرة من تجارب الحب في حياتي قد عادت اخصب مما كانت ، وان من حق هذه الخصوبة أن تمنح الناس ثم ! بانعا ، وظلا ظليلا .. وكيف اترك الحب وتجارب الحب ، وانا الان اعيش في العراق ، وهو مهد الشعر والحب من قديم الزمان ؟

سلام على الحب .. سلام على كل بلد يزهر فيه الحب .. وسلام على كل قلب لا يترنم بغير الحب .

ابراهيم محمد نجا

الى الدكتور احمد كمال زكي

بقلم : حسب الشيخ جعفر

اخي الدكتور احمد كمال زكي ..

ادهشتني ، ايها الاخ ، عبارة اخذتها من الاستاذ رئيف خوري والصقتها بي تهمة صارخة . اني اعتز كثيرا بحبك لي واعجابك بشعري ولكن هذا لا يمنعني ان ابعث اليك بعتاب . الذي ادريه ان الاستاذ رئيف لم يجد في قصائدي مثل هذه التهمة ، فما عليه لوم . ولكنك تركت قصائد اخرى يجوز لك ان تعتبرها غير « عربية » ورحت تشير الى قصيدتي وحدها باصبع الاتهام . لم يخطر ببالي يوما ان تلصق مثل هذه التهمة بشعري .. لاني حين اكتبه احترق عربيا واحلم عربيا وافكر عربيا . ثم اني لا ادري ما تقصده تماما . انك لم تشر الى الشيء الذي تراه خاليا من الاصالة العربية في القصيدة . اهو المحاولة التي اردت بها ان اقدم تنوعا في الاصوات ؟ لا انكر انني مزجت رؤى متباينة وان في القصيدة « انقلابات » تفاجيء القارىء من حين الى اخر . اذا كنت تعني هذا وتجده سببا في خلو القصيدة من الاصالة العربية فاني اختلف معك ، وان دهشتي لتزداد ايضا . لقد كانت هناك انقلابات شعرية كثيرة في تراثنا الاصيل ، في القصيدة الواحدة . كثيرا ما كان الشاعر القديم ينتقل من البكاء على الطلل الى وصف الحبيبة او الصيد ، الى الفخر بنفسه او بقومه ، وبمعنى اخر ، كان ينتقل من موضوع الى موضوع ، ولكن احدا لم يقل ، يوما ، انه يفتقر الى الاصالة . ولكنني لم انتقل من موضوع الى اخر . ان قصيدتي كل واحد . ولم يكن التنوع في الصوت والصورة الا محاولة للخروج بها من الغنائية ذات الصوت الواحد ، اعطاء القصيدة شيئا من الروح الدرامية . ولا اريد ان اطيل لاني لا اعرف تماما ما تعنى عبارتك . وانه لشيء خطر ، في النقد ، ان تلقى التساؤلات الغامضة والتهم بلا حساب . في نقد اسبق لك ما زلت اذكره جيدا ، تقول ما معناه : ان الماركسية لم تنتزع من صدر الشاعر حسه القومي . وكيف يمكن ، ايها الاخ ، ان تلصق نظرة معينة بتفكير انسان لم نناقشه يوما ولا ندري افكاره بالتحديد ؟ وفي وقتها لم اغضب ولكني وددت لو اتاح لنا الزمن ان نلتقي فابث اليك ما اريد وما تريد . انني معجب بنقدك وكثيرا ما انتظرته بشوق . ان احدهم ، مرة ، تجاهل تماما قصيدتي لان عنوانها « عد يا غريب » ولانها قد كتبت في مدينة معينة . اي نقد هذا ؟ انى نالت اذ وجدتك انت بالذات تلصق بي مثل تلك التهمة .

وارجو ان تتقبل اعجابي وتحياتي .

حسب الشيخ جعفر

مكتبة عبدالقيوم

زوروا مكتبة عبد القيوم ببورتسودان تجدوا احدث المطبوعات العربية ، وكذلك مجلة الاداب البيروتية ومنشورات دار الاداب .